في الاول من أيار (مايو) ١٩٢١. وبسبب الحواجز التي انتصبت في وجهها، بقي موقف العداء الحازم الذي وقفته الشيوعية في فلسطين تجاه الاستعمار البريطاني من دون تأثير يذكر على الحركة الوطنية العربية وتوجهاتها السياسية والفكرية، وذهبت الصيحات التي أطلقها الشيوعيون، محذّرين من نوايا الاستعمار البريطاني وأهدافه، أدراج الرياح.

وكان الشيوعيون فضحوا، منذ مطلع العشرينات، أهداف بريطانيا ودوافعها، فأشاروا الى ان الامبريالية البريطانية استهدفت من وراء احتلالها لفلسطين «دق اسفين في قلب العالم العربي، بهدف منع شعوب البلدان العربية في النهاية من التوحد القومي، خصوصاً وان فلسطين تقع، من الناحيتين الجغرافية والتاريخية، في قلب العالم العربي»، كما استهدفت ضمان مصالحها الاستراتيجية في منطقة الشرق الاوسط: فـ «فلسطين، وبالاختلاف عن جميع المستعمرات البريطانية الاخرى، لم تجذب انتباه بريطانيا اليها بسبب ثرواتها الطبيعية أو بسبب سوقها التجارية، وانما لاعتبارات استراتيجية تتعلق بموقعها، انها تمثل قاعدة استراتيجية مهمة للدفاع عن قناة السويس، وعبرها يمر الطريق الوحيد القادم من الهند». ومن اجل تحقيق أغراضها الاستعمارية وضمان مصالحها الاستراتيجية، استغلت بريطانيا المشروع الصهيوني، وقامت بمكافأة كبار الرأسماليين اليهود بوعد بلفور، ثم فرضت على الصهيونيين في فلسطين «القيام بمهمة تعزيز وجودها في هذه البلاد، وجعلت منهم سداً فاصلاً بينها وبين السكان العرب»[٢٥]. وعلى عكس قيادة الحركة الوطنية العربية، التي كانت تتجنب ايراد كلمة الاستعمار في بياناتها ومقررات مؤتمراتها، نشط الشيوعيون، على نطاق واسع، في حملة التحريض على الاستعمار وكشف طبيعته، وأصدروا، في إطار هذه الحملة، العديد من الكراسات التثقيفية، مثل كراس «الاستعمار، ومن هم مناصريه، ومن هم أعدائه»[٢٦]، كما خصصوا لهذا الموضوع حيزاً واسعاً في دورياتهم ومنشوراتهم. ففي أحد أعداد مجلة الحزب «الى الامام»، تحت عنوان: «السياسة الاستعمارية في فلسطين:، ورد ما يلي [حافظنا على النص كما هو]: «ان موقع فلسطين الجغرافي لهو من الاهمية للاستعماريين بمكان، وخصوصاً للاستعمار الانكليزي، لغرض المحافظة على قناة السويس التي هي عرق الحياة الممتد بين بريطانيا ومستعمراتها في الشرق الاقصى والهند، ولد نفوذها وسيطرتها داخل البلاد العربية والاستيلاء على منابع ثرواتها وفتح أسواق جديدة للتجارة البريطانية واستثمار الايدي العاملة استثماراً وحشياً، ومحطة الوصال بينها وبين مصالحها من الشرق الاقصى، ونقطة حربية تهدد جميع المستعمرات ونصف المستعمرات في الشرق... وبعد ما وضعت الحرب أوزارها وقضت معاهدة فرساي على توزيع البلاد العربية الى دويلات وامارات [مستقلة]، وبعضها تحت انتداب الدول الاستعمارية فرنسا وانكلترا، والانتداب هو نوع من الاستعمار الغاشم الذي اخترعته لنا السياسة الاستعمارية ولجنة اللصوص [الانتدابات]. وطبعاً، لم يقفوا عند هذا الحد بل أتونا بمتكأ جديد، ويدعى هذا بالسياسة الصهيونية والوطن القومي للصهيونيين في فلسطين»[٢٧].

التزاوج بين الوطنية والقومية

على الرغم من ان ظروف التجزئة الاستعمارية، التي فرضت على المشرق العربي في العام ١٩٢٠، أدّت الى انكفاء القومية العربية وانطلاق الوطنية الفلسطينية وطغيانها على مسرح الاحداث، الّا ان أفكار القومية والوحدة والتضامن العربي لم تغب، نهائياً، عن الفكر السياسي الفلسطيني، حيث كانت تبرز، بين الحين والآخر، في اطاره، أصوات تدعو الى استمرار العمل من أجل تحقيق فكرة